المنظومة العسكرية الأشورية: الازدهار والسقوط

بحاير فايزة / أ.د العقون أم الخير

ملخص

نظرا لأهمية المرحلة الأشورية في تاريخ العراق القديم ،أطلق المختصون على العلم الذي يدرس تاريخ الحضارة العراقية القديمة اسم علم الأشوريات Assyriologie، على الرغم من أنها مرحلة سبقتها مراحل أخرى حكمها السومريون ، الأكاديون ، الكاشيون والبابليون ، غير أن البلاد في عهد حكم الأشوريين شهد تميزا سياسيا و عسكريا وبفضله تبوأت العراق مكانة الريادة والزعامة في الشرق الأدنى القديم .

وان كان الإطار الزمني لحكم الأشوريين ينحصر بين القرنين 12 و 7 ق.م ، فان الدولة مرت بمرحلة صعبة ومضطربة ، فقد كان الأشوريون في بداية الأمر يشقون طريقهم في الحياة السياسية بصعوبة، نظرا لكثرة أعداءهم المحيطين بهم من بابليين ، ميثانيين وكاشيين، غير أن الصراع الدائم ساعدهم على أن يتبلور لديهم مخطط سياسي وحربي واضح يمكنهم من الخروج من هذه العزلة والرغبة في إنشاء دولة قوية، خاصة وقد تطعم العرق السامي للأشوريين بالعرق الهندوأوروبي من الميثانيين والكاشيين، فتحصل على صفات عسكرية قتالية، واستفاد أيضا بخبراتهم العسكرية وأقام أكبر منظومة عسكرية ، وتكاثفت جهود الأباطرة الأشوريين الدين أقاموا إصلاحات كبيرة في الجيش ، فأصبح مؤسسة عسكرية متكاملة دقيقة التنظيم ومن أهم ركائزها الجيش بمختلف أصنافه ، الوسائل المادية المستخدمة (عربات و سفن) والوسائل المعنوية (التكتيك العسكري ، الإستخبارات وغيرها).

على كاهل هده المؤسسة ، قامت الإمبراطورية الأشورية التي حكمت الشرق الأدنى كله و مكّنت العراق من بسط نفوده من "حيثا" شمالا مرورا بكل الممالك في سوريا و وصولا إلى أرض الفراعنة جنوبا ، وأنشأ إمبراطورية مترامية الأطراف امتد عهدها من القرن 9 ق.م إلى غاية القرن 7 ق.م .

الكلمت المفتاحية

الأشوريون –الإمبراطورية – الجيش – الوسائل المادية – الوسائل الإعلامية

Le système militaire Assyrien : Apogée et décadence

Résumé

Vu l'importance de la période assyrienne dans l'histoire de l'Iraq ancien, les spécialistes ont appelé la science qui étudie l'histoire et la civilisation irakienne ancienne, le nom d'Assyriologie, bien que la période des assyriens été précédée par d'autres périodes, les Sumériens, les Acadiens, les Kassites et les Babyloniens. Car À l'époque de la gouvernance de l'Iraq par les assyriens, que l'Iraq fut le leadership du Proche-Orient antique.

Et si les assyriens ont prient le contrôle de l'Iraq a partir du 12e siècle A.-C, leur État a connu au début une étape difficile et turbulente ,étant donné le grand nombre d' ennemis qui les entouraient, les Babyloniens, Mithanis et Kassites, Ce conflit permanent avec leur voisins, les a aidés a établir un plan politique et militaire qui consiste à sortir de cet isolement et surtout le désir d'établir un État fort .

Après la fusion de la race sémitique des Assyriens avec la race indo-européenne des Méthanis et des Kassites, leur a donne des qualités et attribues militaire supérieur, et leur a également profité de leurs expériences militaires, avec quoi les Assyriens ont établi le plus grand système militaire mis en place.

A partir du 9eme siecle a.c ,Les empereurs assyriens ont mene des reformes importantes dans l'armée, ce qui lui a permit d'être le pilier du système militaire , soutenupar tous les moyens mis a sa disposition (soldats ,chars, navires ,tactiques militaires, renseignement, etc.), C'est avec cette machine militaire que les empereurs assyriens ont gouverné le Proche-Orient antique et a donne à l'Irak l'occasion de mettre en place le plus grand empire de son époque de 912 a.c a 612 a.c, , des hittites en Asie mineure au nord, passant par les royaumes phéniciens et juif, jusqu'au royaume des Pharaons au sud .

Mots clés

Assyriens ,Empire , Armée , Moyens , matériaux , Les médias.

مقدمة

يحتل الجيش مكانة هامة في تاريخ الأمم قديمها وحديثها، وفي مختلف البلدان والأقاليم، ومن بينها الدولة الأشورية التي كان جيشها قبل العهد الإمبراطوري بسيطا في عدته وعتاده وتكويناته، إلا أنه عرف تطورا كبيرا في العهد الإمبراطوري، حيث وصلت أشور بالفن العسكري إلى أرقى ما كان معروفا في ذلك الوقت من حيث التدريب والتسليح، وتنظيم الإمدادات وتنوع فنون القتال، كل دلك لأنها غيّرت سياستها الخارجية وأصبحت توسعية، فأوجدت الأداة ألا وهي الجيش.،

<u>أولا: مكوّنات الجيش</u>

1- التجنيد

عُرف عن الملوك الأشوريين اهتمامهم الكبير بالتجنيد في صفوف الجيش وتنظيمه وتدريبه وتسليحه، وكان التجنيد يتم وفق أسس معينة، حيث كان يُطلب من كل حاكم مقاطعة أو إقليم تقديم عدد معين من المقاتلين يتناسب عادة مع عدد سكان الإقليم أو المقاطعة المشاركة في الحملة العسكرية، وكانت صفوف الجيش تختلف باختلاف الأمم والمقاطعات مثل الخيالة من إيران والقبائل الآرامية والجمالة من القبائل العربية، والمشاة من بلاد الأناضول وبلاد سوريا.[1]

ومثال عن ذلك ، حملة الملك الآشوري أسرحدون عام 671 ق.م، حيث تقدم نجو مصر عن طريق صحراء سيناء، وذلك بمساعدة بدو الصحراء الذين أمدوه بآلاف الجمال لنقل المؤن والمياه، وكانوا أدلائه في السير، حتى وصل إلى وادي طميلات ونجح في احتلال مدينة منف. [2]

كما أدخل الملك الأشوري سرجون الثاني 721-705 ق.م، تجديدا هاما في التجنيد، وعدا الجنود الذين يؤدون الخدمة العسكرية الإلزامية، وظف مرتزقة من الأجانب، وقد ازداد عددهم مع الزمن بشكل كبير.[3]

وظل الملوك الأشوريون يعتمدون على القوات الاحتياطية التي كانت تستنفر وقت الحاجة للقيام بحملة عسكرية، و يتمّ ذلك غالبا في أعقاب موسم الحصاد، فقد كان الفلاح الأشوري قادرا على أداء واجباته العسكرية، إلا أنه عندما تكون حروب أهلية، أو تمرد على السلطة أثناء المواسم الزراعية، فانه يتم تجنيد الفلاحين وتحدث مشكلات خطيرة تتعلق بمعيشة الفلاح (مجاعات).[4]

و تجدر لإشارة إلى أن الجيش في أشور لم يكن يستدعى للخدمة العسكرية كل عام، فقد كانت بعض الحملات تقضي باستخدام قوى أقل عددا أو استخدام الجيش المرابط فقط

وهناك حالات استثنائية يستنفر فيها الملك جميع قوات الممالك الصغيرة التابعة للسلطة الأشورية، فأول ما شرع به الملك أشور بانيبال، (668-627 ق. م) في سبيل فتح مصر، هو إرسال قائد الجيش الأعلى إلى سورية لاستنفار الجيوش وتعبئتها، فجمع جيشا كبيرا وخرج تحت رايته أثنين وعشرين ملكا، حيث استعان بخبرتهم الملاحية وهاجم مصر من البر والبحر وحقق الانتصار.

و يذكر أحد الحكام أنه جمع تحت قيادته قوة تقدر بـ 1500 جندي من الفرسان، و 20.000 من الرماة، ولما كان عدد الولايات التابعة لآشور يفوق عن عشرين ولاية، فان الملك الأشوري كان بإمكانه جمع مآت الآلاف من الجنود.[5]

2- أصناف الجيش الأشوري:

أ- الموظفون الدينيون:

لقد أشارت النصوص المسمارية بأن الأشوريين اشتهروا بين جيرانهم بأنهم يستطيعون تنظيم الجيوش حسب نوعية الجند وإعدادهم وعدتهم بالإضافة إلى تطرقها الى الحملات العسكرية التي خاضها الملوك الأشوريين وانتصاراتهم، كما وجدت أيضا الكثير من المشاهد الحربية مصورة على النقوش الجدارية في العواصم الأشورية [6]

ومن هذه النصوص ورد أن الترتيب العادي لمسيرة الجيش في زمن الملك سرجون الثاني مثلا ،كان كما يلي: أولا سارت أعلام الآلهة بمرافقة موظفين دينيين ،وبالتالي يتبين لنا أن القوة الثانية التي يعتمد عليها الملك هي قوة الدين، وكان إجماع القوم منعقدا على أن رأس الدولة من الوجهة الرسمية هو الإله أشور، وكانت الأوامر الرسمية تصدر بإسمه، وكل الحروب تشن لتأتي له بالغنائم، كما أن أولئك الموظفين الدينيين كانوا يمنحون العزيمة الكافية للقتال.[7]

وكان من بين أولئك الموظفين الدينيين الكاهن العراف "البارو" Barroالذي يقوم بشؤون الإخبار بالغيب، و كشف طالع المعارك التي ينوون القيام بها أو التي تفرض عليهم من قبل الأعداء وتفسير الفأل بطرق عديدة، ومن هؤلاء أيضا فرع متخصص بتفسير الأحلام.[8]

ويأتي بعد الموظفين الدينيين الملك راكبا عربة، ويرافقه سائقو العربات والفرسان، وقد كانت تلك القوات تعرف بالحرس الملكي، وكان الانخراط بهذه القوات يعد امتيازا يمنح لبعض المقربين أو لأبنائهم، وكان يأتي خلف الحرس الملكي القسم الرئيسي من الجيش.ألا وهو المشاة.

ب- صنف المشاة:

يعد صنف المشاة أقدم وأهم الأصناف القتالية ، حيث كانت جميع الأصناف الأخرى تعمل على مساعدته لتحقيق الانتصار، وكان الجزء الأعظم من قوات الجيش يتألف من صنف المشاة كما أنهم يوفرون الغطاء اللازم للجند المتقدمين نحو العدو.[9]

وكان هناك صنفين من المشاة، مشاة مسلحون بأسلحة خفيفة مثل رماة السهام و المقاليع، ومشاة مسلحون بأسلحة ثقيلة مثل الرماحة وقد كان الغالب على لباس الصنف الأول الجلباب القصير، في حين أن الرماحة كانوا يلبسون تروسا مستطيلة تكونأحيانا أطول من الجندي.[10]

وكان يضع كل من رماة السهام والرماحة على رؤوسهم أشكال بيضاوية مخروطية الشكل ذات عرف أو ريشة، ويحمل القسم الأكبر من المشاة سيوفا قصيرة أو فؤوس أو دبابيس، و ينتعلون حذاء يصل الى نصف الساق.

وكان يرافق الرماة عربات ذات عجلتين يجرها حصانين، ويقودها فارس أو فارسين، وكانت القوس المستخدمة من قبل الفارس أصغر مما يستخدمها الرماة، والى جانب القوس كان يحمل الفارس سيفا قصير.11

ومن هنا يتضح لنا أن صنف المشاة بنوعيه الخفيف والثقيل الأسلحة كانت مهمته الأساسية هو الاصطدام المباشر بالعدو و تحطيم قوته الرئيسية، وبالتالي السيطرة على أرض العدو.

جـ - صنف الخيالة:

استخدم صنف الخيالة في المناطق السهلية والجبلية، والأراضي المكشوفة، إلا أن استخدامه في حصار المدن كان محدودا، وكان الخيال الأشوري يتسلح عادة بالرمح والسيف أو بالقوس والسيف، ويحمل جعبته على ظهره.

وقد أوجب ركوب الخيل معرفة فن الفروسية، فقد اشتهر الأشوريون بتربية الخيول والاعتناء بها، ومما لا شك فيه أن استخدام الخيول مع العربات قد رفع أهميتها في المعارك الحربية، ولم يكتف الأشوريون بالسرعة التي حققتها لهم الخيل عند بداية استخدامه مع العربات، بل حاولوا زيادة تلك السرعة من ناحية التحكم في متانة العجلة وخفة وزنها، ومن تكبير إطار العجلة، مما ساعدعلى زيادة سرعة العجلة، وارتفاع جسم العربة عن الأرض مما يبعد احتمال اصطدامه مع ما يحتويه الطريق من مطبات.12

وقد عرف فن الفروسية في آشور تقدما مستمرا نظرا لتطور السلاح الهجومي،

وأما في مؤخرة الجيش فقد كانت تأتي فرق النقل المتمثلة في الخدم والأتباع، وكانت مهمتها نقل مؤن وذخائر الجيش.13

و في هذا السياق لابد أن نذكر أن الملك الأشوري تجلات بلاسر الثالث الذي حكم فيما بين 744-727 ق.م، قد أعاد تنظيم الجيش، وادخل عليه إصلاحات، فقد ضمت القوات الأشورية

الصورة رقم 1: الجيش الآشوري يظهر صنف الخيالة و العربات أما في الجزء العلوي فهي عملية تسجيل الغنائم.عهد للملك شلمنصر الثالث(858 – 824) ق.م

محاربين ذوي رماح يقودون عربات تقرن زوجا من الأحصنة، وسلاح خيالة أضخم مرتين من وحادت العربات، وسلاح مشاة معزز ومسلح برماح ودروع، وسلاح مشاة خفيف مؤلف من رماة سهام وأضخم مرتين من السلاح السابق.

وكانت المعركة تبدأ بهجوم العربات يتبعها المشاة، الذين يقومون بمهاجمة صفوف الخصم، والتي تكون قد تشتت، وأخيرا يطارد الفرسان العدو المتراجع.14

د- صنف المهاجمين بآلات الحصار:

من الأمور التي ميزت الجيش الأشوري عن بقية الجيوش في العالم القديم و في العراق القديم أيضا ،هي التحصينات العسكرية وبناء القلاعوسبب ذلك يرجع إلى توفر الحجر في المنطقة التي سكنها الأشوريين في الشمال ، وهذه التحصينات العسكرية قد أدت بدورها إلى تطوير آلات الحصار التي تمخضت عنها صناعة الدبابة الأشورية بالمصطلح الحديث.

ويمكن أن نعد المهاجمين بآلات الحصار صنفا من الأصناف المقاتلة، وكانت مهمة هذا الصنف الرئيسة هي دك الأسوار، وإحداث ثغرات أو فجوات في أسوار المدينة المحاصرة لتمكين الجيش من الدخول إلى المدينة.15

و من الأمور الجديرة بالذكر أن المشاهد الحربية قد بيّنت أن آلات الحصار كانت أنواعا منها الصغيرة و الكبيرة التي تتسع لخمسة أشخاص، وبالتأكيد أن استخدام آلات الحصار الكبيرة أو الصغيرة كان يتوقف على نوعية الأسوار وجدران القلاع المراد تهديمها، وأدت الأسوار والقلاع إلى إدخال السلالم ضمن التجهيزات العسكرية، وذلك لغرض التسلق إلى أعالي الأسوار عند مباغتة الجيش المواقع المحصنة.

الصورة رقم 2: حصار المدن و استعمال آلات الحصار الضخمة أما في الجزء العلوي فهي عملية تسجيل الغنائم و هي تعود للملك شلمنصر الثالث (858 – 824) ق.م

كما كان يدير شؤون هذه الآلات، صنف خاص من الجند هم المهندسون والفنيون، والذين يعهد إليهم أيضا مهام ردم المياه المحيطة بالمدن لحمايتها، وحفر الأنفاق تحت الأرض للدخول إلى المدن المحاصرة.16

ويرجع الفضل في تميّز تلك الآلات الضخمة إلى معدن الحديد، فقد استغله الأشوريون في صنع أدواتهم وأسلحتهم الحربية، وقد ورد في الوثائق الأشورية التجارية القديمة، أن الحيثيين(آسيا

الصغرى) هم الذين كانوا يحتكرون معدن الحديد، ولكن بعد انهيار الإمبراطورية الحيثية، تم كسر احتكارها للحديد، واستغله الأشوريون لصالحهم. 17

فقد عثر المنقبون في مخازن الملوك الأشوريين كقصر الملك سرجون الثاني في خورسباد على آلات وأدوات حربية ضخمة مصنوعة من الحديد ويبلغ وزنها حولي ستة و ثمانين طنا. 18

هـ - الأصناف العسكرية الأخرى:

وهي الأصناف العسكرية ذات المهام غير القتالية.

ومن أهم هذه الأصناف العسكرية هو صنف الأطباء، ورئيس هذا الصنف كان يسمى "راب-آسي" Rab-assi أي بمعنى كبير الأطباء، وكانت مهمته الرئيسة هي معالجة الجرحى أثناء القتال أي أنه كان يتألف بصورة أساسية من الجراحين، أما معالجة الأمراض الجرثومية فتأتي بالدرجة الثانية، وكانت تعالج وفق نصوص طبية مبين فيها علاج كل مرض، وأما العمليات الجراحية فليس بالإمكان إجراؤها من خلال النصوص بل يتوقف نجاحها على جراح ماهر، ولذلك كان صنف الأطباء الملحق بالمؤسسات العسكرية يعتمد بالدرجة الأولى على الجراحين.

وعلاوة على الصنف المذكور سابقا، كان صنفان آخران الأول هو صنف الموسيقى العسكرية، ورئيس هذا الصنف كان يسمى "راب زماري"Rab-zammar،و قد كان لهذا الصنف قدرة على إثارة طاقات الإنسان الكامنة باستخدامها عند مسيرة الجنود إلى المعركة تمنحهم العزيمة الكافية للقتال، علاوة على قدرتها في ضبط مسيرة الجيش أثناء سير الجنود وأثناء الاستعراضات، و أما الصنف الثاني فهو صنف الهندسة العسكرية الذي من مهامه ردم خنادق المياه المحيطة بالمدن لحمياتها و حفر الخنادق تحت الأرض.19

كما ضمت الحملات العسكرية صنف البريد الذي كانت مهمته إيصال المعلومات بالسرعة الممكنة، بالإضافة إلى عدد من الكتبة والنحاتين وذلك لتدوين وتصوير تفاصيل المعارك التي خاضها الجيش والأسرى الذين تم أخدهم وأيضا إحصاء الغنائم.

وضم الجيش الأشوري أيضا جهازا إداريا متطورا، حيث عمل على تنظيم الشؤون غير العسكرية، والخاصة بالقوات المسلحة، وتوفير المؤن والعتاد اللازم، وقد وصلتنا العديد من النصوص المسمارية التي تشير إلى توزيع الأرزاق والمؤن على الضباط والجنود.20

3- القواعد العسكرية الدائمة:

لقد كان الاستخدام الفعال للقوى العسكرية الأشورية يعتمد على عاملين أساسين، وهما التنظيم والانضباط، ولم يكن جيش أشور عبارة عن فلاحين متعطشين لسفك الدماء، تدعمهما قوة من الفرسان لا يهمها سوى جمع الغنائم، ولكن في الحقيقة كان الجيش منظمة معقدة تضم وحدات متخصصة من عدة أنواع، وكان نواتها هو الجيش المرابط، وكان هذا الجيش مكلفا بعدة مهام وواجبات على أسس دائمة. 21

و إنشاء الجيش الدائم كان استجابة طبيعية لتوسع حدود الدولة وظهور الحاجة إلى وجود قطاعات عسكرية دائمة لحماية حدودها، والقضاء على الفتن والاضطرابات التي قد تحدث في بعض أرجائها الواسعة، لذا كان من الضروري إبقاء وحدات عسكرية صغيرة في الأقاليم والمدن الحدودية والرئيسة

لحمايتها من أي اعتداء خارجي ، ولإخماد أي تمرد داخلي، وكانت مهام الجيش الدائم مستمرة على مدار السنة.

ومن المدن التي وجد بها قواعد عسكرية دائمة Ekal-mafartiفي آشور نذكر مدينة كالخ حاليا، حيث قام الملك أشور ناصر بال الثاني 885-867 ق. م، بإعادة بناء هذه المدينة، والتي أسسها من قبل الملك شلمنصر الأول، ولكنها هجرت، لذلك فقد قام هذا الملك بتجديدها وإعادة بنائها، واتخاذها عاصمة له، وعلى الأخص عاصمته العسكرية.22

و في هذا السياق لابد أن نذكر بأن الملك الأشوري شلمنصر الثالث الذي حكم فيما بين 858-824 ق.م، قام بتحويل العديد من المدن الأشورية إلى حصون ومعسكرات وقد أضاف إلى مدينة كالخ حصنا ضخما، وجعله مركزا لانطلاق الجيوش الأشورية ومخازن أسلحتها وعدتها بالإضافة إلى الغنائم.

كما قام الملك أسرحدون الذي حكم فيما بين 680-669 ق.م، بتوسيع هذه القواعد العسكرية الدائمة إلى ترسانة، حيث قام بتوسيع الأجنحة التي كانت موجودة بها، وذلك مع بناء عدد كبير من أجنحة أخرى، وهذا لاستيعاب عدد أكبر من معدات، والعناية بالخيول والعربات.23

4- الرتب العسكرية الأشورية:

كان الملك الأشوري هو القائد الأعلى للجيش، وكان غالبا ما يقود الحملات العسكرية بنفسه، لذلك كان الملك يقضي السنوات الأولى، فقط من عمره في قصر الحريم، وعندما يصبح في مرحلة الشباب فإنه يتعلم الفنون العسكرية والفكرية، ويذكر الملك أشور بانيبال الذي حكم فيما بين 668-627 ق.م أنه تدرب على كل الفنون العسكرية والفكرية، وركوب الخيل، وإطلاق النار، بالإضافة إلى القراءة والكتابة. 24

وكان إلى جانب الملك في الحملات العسكرية قائد عسكري ذو رتبة عالية، وهو التورتان Tourtan، كما يمكن لهذا القائد أن يقود الحملات العسكرية بنفسه، وذلك في حالة غياب الملك، كما يمكنه أيضا أن يكون حاكما على المقاطعات التابعة للسلطة الأشورية.25

ومما عرف عن الأشوريون وضعهم دائما البديل لكل رتبة من الرتب العسكرية العالية، حيث أن طبيعة الحياة والحروب قد تؤدي بحياة أصحاب هذه الرتب العالية في فترات هي بأمس الحاجة إليهم، فإن لم يكن هناك من يحل محلهم في الحال فتلك ناحية تؤثر على الجيش وعلى نفسية الجنود والضباط، وخاصة إذا حدث ذلك أثناء المعركة، ولذلك كان هناك دائما بديل.

والبديل بالنسبة لرتبة التورتان كان يسمى "تورتان شانو" أي بمعنى "التورتان الأخر" ويرتدي كل منهما بذلة طويلة نهايتها السفلى مزخرفة. وفي وسطها حزام عريض وآخر ضيق ويرتدي فوقها شالا "يتألف من ضفائر طويلة ويترك عادة كتفه الأيسر عاريا"، وأما لباس الرأس فكان عبارة عن عصابة مزخرفة عريضة من الأمام يتدلى منها شريطان من الخلف، وينتعل الترتان حذاء شبيها بما ينتعله الملك، وهذا الحذاء مثبت بالقدم بسيبور تدور حول الأصبع الكبير وحول العقب، ويمتد بينهما سيبر ثالث ويكون مع امتداد واقية العقب من الحذاء إلى منتصفه ، والرتبة التالية للتورتان هي رتبة الراب-ساق Rab-saque، والتي تعني كبير السقاة.26

ومن هنا يتبين لنا أنه كان من أكبر المشاكل التي كانت تصادف الجنود أثناء المعارك القديمة هي عملية توفير الماء اللازم لهم، وخاصة إذا كانت المعركة في أشهر الصيف، وبالتالي فإن الشخص الذي يستطيع إدارة هذه المهمة بنجاح ينال احترام وتقدير السلطة الحاكمة وكل أفراد الجيش ضباطا كانوا أم جنودا.

ويأتي بعد رتبة الراب-ساق رتبة " ناقر إيكالي"Nagir -ekalli أي بمعنى منادي القصر ومهمته بالتأكيد هي دعوة الجنود إلى الخدمة العسكرية، والجهاز الذي ترأسه هذه الرتبة لابد أنه يوازي مديرية التعبئة والإحصاء في الوقت الحاضر، والرتبة الأخرى هي رتبة "الأبركو"Abarakku ، ومسؤولية حاملها هي الإشراف على الناحية المالية، علما أن أصحاب هذه الرتب الأربع مضافا إليهم يكونون هيئة أركان الحرب.

ومن الرتب العالية التي تلي هيئة أركان الحرب هي رتبة "السوكالو"SUukkallu ،ومن اسم هذه الرتبة جاءت ألينا كلمة "سوكال" ومهمته هي الإشراف على تنفيذ القوانين، فهو بذلك يوازي مدير الدائرة القانونية، ومن بعده تأتي رتبة الضباط ودرجاتهم، فكبير الضباط يدعى "راب موكي"– Rab mugi، وكان تحت إمرته الخيالة والعربات، و"راب كيصر"Rab-kisir، والذي يوازي آمر سرية في الوقت الحاضر، وكان صاحب هذه الرتبة يقود مئة جندي مع خمسين عربة. 27

وعلاوة على ذلك فقد احتوى الجيش الأشوري على رتب أخرى منها ما يوازي حاليا رتبة آمر الفصيل، وصاحب هذه الرتبة كان يقود خمسين جنديا مع خمسة وعشرين عربة، و رتبة آمر الحظيرة الذي تحت إمرته عشرة جنود، وغيرها من الرتب العسكرية الأخرى.28

و من كل هذا يتجلى واضحا أن الرتب العسكرية الأشورية كانت تضم رتب عسكرية عليا، بحيث يحق لصاحبها قيادة الحملات العسكرية نيابة عن الملك وأخرى رتب صغيرة كالضباط والجنود الذين كانت مهامهم مختلفة كالإشراف على الأمور الإدارية و المالية و المشاركة في الحملات العسكرية.

ثانيا: التكتيك العسكري

1- معارك المواجهة المفتوحة

استطاعت الجيوش الأشورية أن تدخل التنويع في تكتيكها العسكري، وذلك طبقا للمناسبات، فقد كانوا يشتركون في معارك نظامية في الأراضي المفتوحة، وفي حرب الجبال، وفي حصارا لمدن .

وكانت المعارك النظامية المفتوحة بين جيشين في ميدان مفتوح أكثر دموية وكان من بين الملوك الأشوريين الذين قاموا بهذا النوع من المعارك الملك شلمنصر الثالث الذي حكم فيما بين 860-825 ق.م، والذي لم تنقطع فترة حكمه تقريبا من الحروب، فقد قام بحملات في الغرب أدت إلى إلحاق الهزيمة بالحلف السوري في دمشق.29

فقد وصفت المعركة النظامية المفتوحة في موقعة القرقار في عام 853 ق.م، في حوليات هذا الملك كمايلي: "....توجهت إلى مدينة قرقر، وحصلت على 1200 عربة حربية، 1200 فارس و 2000 جندي تابع لأدد أيدر ملك دمشق، و 700 عربة حربية، 700 فارس، و 1000 جندي تابع لأرخوليني ملك حماة، و 200 عربة، و 1000 جندي تابع لأحاب ملك إسرائيل، و 500 جندي في مدينة عرقانا، و 200 جندي تابع لماني بعل ملك أرواد، و 200 جندي من بلاد أوستانو، و 30 عربة حربية، 1000

جندي لأدون بعل ملك سيانو، و 100 جمل تابع لجندب العربي،1000 جندي تابع لبعا بن رحوب ملك بلاد العمونيين، هؤلاء الملوك الاثنان عشر جاء بهم كحلفاء له..."[30].

وما يلاحظ على هذا النص أن إمدادات الملوك الإثنا عشر في هذه المعركة كانت متباينة، فقد كانت نسبة الجيوش التي قدمها ملك دمشق وملك حماة أكثر من الملوك الآخرين، والذين تم ذكرهم في هذا النص، وقد يعود ذلك إلى رغبة هاذين الملكين في التخلص من تبعية و سيطرة هذا الملك الأشوري و بالتالي إبعاده عن دمشق و حماة

2- الحروب في الجبال

إن من أشكال الحروب الأشورية أيضا الحرب في الجبال، وهناك مثال على هذا النوع من الحروب، فقد قام الملك الأشوري سرجون الثاني بحملة عسكرية كبيرة عام 714 ق.م على دولة أوراتو في الشمال (أرمينيا حاليا).

و وقعت المعركة في غربي شمال إيران وتصف النصوص بأن ملك أوراتو "دوسا" تراجع لاستدراج الملك الأشوري حتى امتدت مواصلاته إلى نقطة انخفضت فيها معنويات جنوده، وأصبح من الصعب عليه السيطرة على جنوده كلهم وعند ذلك أرسل الملك أوراتو رسولا، وذلك تحديا منه للملك الأشوري، وقد طلب منه أن يتقدم ويشترك في القتال.

وأمام هذا العجز لجأ الملك الأشوري إلى الآلهة يصلى للإله أشور، وقد جاءت تفاصيلها في التقرير الذي كتبه هذا الملك في شكل رسالة إلى الإله أشور: " ...أبي الأرباب الذي سيكن في معبد جبل البلدان العظيم، ثم يرسل بتحياته إلى الآلهة الأخرى التي تختص بالمصير، وإلى الآلهات اللواتي لهن هياكل في المعبد، وبعد أن يرسل بتحياته إلى مدينته وبلاطه، وينمي السلام لنفسه ولجيشه..."[31]

ويمكن تفسير ذلك بأن الملوك الأشوريين كانوا يعتقدون بأنهم يقاتلون تنفيذا لرغبة الآلهة التي توحي إليهم، وترفع من معنوياتهم، وبالتالي فإن القوة الثانية التي يعتمد عليها الملك هي قوة الدين،

كما واصل الملك الأشوري وصفه للصعاب التي قابلته في عبور الأنهار أثناء فيضاناتها، وكيف عبر الزاب الأعلى والأسفل، وذلك دون أن يعتري جنوده خوف أو ملل حتى بدأت الأنهار أمامهم، وكأنها قنوات ضيقة وكيف عبروا الجبال المغطاة بأشجار كثيفة.

وأدرك الملك الأشوري الوضع التكتيكي، وانتهز الفرصة التي سنحت له، وبغض النظر عن المشكلات بالنسبة لجنوده، فقد قاد حرسه الشخصي من الخيالة إلى وسط المعركة، وكسر هجوم الملك الأشوري خطط العدو، واستولى على مقر القيادة، ووصل إلى معسكر ملك أوراتو نفسه حيث عطب الجيش الأشوري عرباته بقذفها بالسهام، وأيضا قتل الخيول.[32]

وسرعان ما سقطت المعاقل الأخرى الواحدة تلو الأخرى، وذلك عندما أحرق الأشوريون المحاصيل الزراعية، ونهبوا مخازن الغلال، ثم يمضي الملك سرجون الثاني فيقول: " لقد قدت حيوانات معسكري نحو الريف القريب من المدينة، فدمرت الحيوانات المحاصيل الزراعية فضلا عن السهول".[33]

وهذا ما يوحي لنا باستخدام الجيش الأشوري صنف من التكتيك العسكري ألا وهو إحراق المحاصيل الزراعية وتخريب الحقول وهو ما يعرف بالمصطلحات المعاصرة بسياسة التجويع لإنهاك قوى الخصم العدو.

3- حصار المدن

ومن الأشكال الأخرى في الحروب الأشورية نذكر عملية الحصار، وكان أولى مستلزمات هذا العمل هو عمليات النقل الفعالة التي تلزم لجلب آلات الحصار.

وكانت هذه الآلات الضخمة هي السلاح المفضل للجيوش الأشورية، وهي عبارة عن برج من الحديد يكمن بداخله رماة السهام والمهاجمون، ويتراوح عددهم بين اثنين وثلاثة، وفي مقدمة تلك الآلات عمود كبير مصنوع من الحديد.34

أما بالنسبة للسلالم فقد كانت تستخدم للصعود على الأسوار، وهي مصنوعة من الأخشاب، وقد كان يصعد عليه اثنان حامل القوس وحامل الترس ليحمي رفيقه، وكانت تلك السلالم تبنى لتمكن آلات الحصار من الوقوف أمام النقاط المرتفعة من الأسوار وأما جنود الهندسة العسكرية فقد كانوا يقومون بحفر الأنفاق تحت الأرض، وذلك للدخول إلى المدن المحاصرة.

في حين كان جنود المشاة يقومون بتسلق الأسوار عن طريق السلالم، وكذا الأماكن الضعيفة بالنسبة للأحوال الدفاعية، وقد كان وابل من السهام، وحجارة المقاليع ينهمر فوق رؤوس المدافعين من الرماة.

كما كان هناك سلاح آخر مستعمل، وهو النار، حيث يقوم الجيش بإشعال النار في المدينة بأكملها وقد كانت إحدى الوسائل لفعل ذلك وهي إطلاق سهام تحمل جمرا ملتهبا.35

وهناك مثال على هذه المدن المحصنة كمدينة صيدا الفينيقية، وقد قام الملك الأشوري "أسرحدون " بشن حرب عليها واستطاع الاستيلاء عليها عام 676 ق. م وانتقم من سكانها أبشع انتقام، حيث دمر المدينة بأكملها، وهدم عمرانها وأطاح بتحصيناتها وأسوارها، وقذف بأحجارها في البحر.36

كما استخدم الجيش الأشوري أيضا مجموعة متنوعة من التكتيك العسكري، وذلك لإقناع شعوب المدن المحاصرة على الاستسلام بدون مقاومة وهذه التكتيكات العسكرية شملت المبادرات الأولى للسلام، ذلك أنه بعد تطويق المدينة المحاصرة، يقف واحدا أو أكثر من كبار الضباط في الجيش بالقرب من جدران المدينة المحاصرة لإقناع الشعب بالحجج وسبب العصيان والتمرد ويطلب منهم فتح البوابات.

و هنا يجدر بنا أن نذكر بأن الجيش الأشوري قد استخدم هذا النوع من التكتيك العسكري في حصار مدينة بابل عام 729 ق .م، وذلك بسبب تمردها على السلطة الأشورية، فبعد وفاة حاكم مقاطعة بابل الموالي للأشوريين، وقع تنافس على العرش البابلي، وكان أشد المتنافس على حكمها "مردوخ أبال أدين الثاني" ، إلا أن جيوش

الملك الأشوري "تجلات بلاسر الثالث" أجبرته على الفرار،واقناع الشعب على فتح بوابات المدينة لتفادي هدمها .[37]

أما إذا ما قاوم العدو المبادرات السلمية، فإن الجيش الأشوري يلجأ إلى هجوم كبير، سواء كان ذلك بمعركة ضارية أو حصار طويل، وما ينجم عنه من حرق وقتل وسلخ جلود الناس، وتدمير للمحاصيل الزراعية للمناطق الريفية المجاورة للمدينة المحاصرة، وذلك لمنع دخول الإمدادات إلى المدينة..

وكانت إحدى الصفات المروعة بالنسبة لحصار المدن هي أكل لحوم البشر، الأمر الذي كانت تشير إليه النصوص المسمارية، ويصف الملك الأشوري أشور بانيبال نتائج حصاره لمدينة بابل سنة 652 ق. م ،فقد ورد في الحوليات ما يلي: " لقد حل بهم الجوع، وبسبب جوعهم فقد أكلوا لحوم أبنائهم وبناتهم، وقد مضغوا الأحزمة الجلدية ".[38]

وما يلاحظ على هذا النص أن هناك مبالغة من طرف الملك الأشوري أشور بانيبال في وصف مدى فعالية سياسة التجويع ومنع الإمدادات عن مدينة بابل المحاصرة فلا يعقل أن يأكل آدمي لحم آدمي آخر، فما بالك لحم أبنائهم وبناتهم.

ثالثا : أساليب الإعلام العسكري الأشوري

1- مبدأ الحرب النفسية

إن إحساس الأشوريين بمهمتهم الإلهية أدى بهم إلى فرض الوعي بهذه المهمة على الشعوب الأخرى، ولكي يحافظوا على الاستقرار في منطقة الشرق الأدنى، ذلك الاستقرار المؤسس على أحقية السلطة الأشورية الإلهية، فقد كان من الضروري إقناع الشعوب بأنه من العبث مقاومة أشور.

وكان من الواجب القيام بهذا عن طريق إظهار القوة الشاملة لأشور من جهة وعن طريق الدعاية من جهة أخرى، ولم تكن هاتان الوسيلتان منفصلتين، فقد أكد مبدأ الحرب النفسية أن غالبية الدول كانت تفضل الخضوع، ودفع الضرائب والجزية، وتقديم بنات الحكام المحليين كحريم للملوك الأشوريين، وهذا كله من أجل تجنب خطر عظمة القوة العسكرية الأشورية.

ومن بين القائمين على تنفيذ هذه السياسة الأشورية الملك "أشور ناصر بال الثاني" الذي حكم فيما بين 883-859 ق.م وقد كان أعظم شخصية في المرحلة الأولى من عصرها الحديث، وقد ورث عن أسلافه الأقربين سنة ثبتها هو وخلفاؤه وهي: "اضرب قبل أن تضرب، وهاجم قبل أن تهاجم، واجعل تنكيلك بأقرب خصومك عبرة يخشاها بقية أعدائك".[39]

بالإضافة إلى الاستعدادات العسكرية والمادية للجيش كانت هناك استعدادات نفسية تمثلت بما عرف عن الجيش الأشوري من شراسة أخلاقه وميله إلى الفتك والتنكيل بالأعداء، باستخدامهم السلاح والنار في المدن والقرى، كما كانوا يضعون الذين يتهمونهم بالخيانة من حكام الأقاليم على الخوازيق المركزة على الأرض بعد سلخهم أحياء.

ويتضح ذلك من خلال وصف الملك "أشور ناصر بال الثاني " "سقوط مدينة كينابو، وذلك كما يلي: " لقد قتلت 600 من العساكر بحد السيف، وأحرقت بالنار ثلاث آلاف أسير، ولم أبق على أحد منهم حيا ليصبح رهينة في يدي، وقد وقع أمير المدينة أسيرا في يدي، لقد كومت جثتهم حتى صارت في علوها، وكأنها برج وأحرقت فتيتهم بالنار، وأما الملك فلقد سلخته وعلقت جلده على جدار مدينته، وأما المدينة فقد دمرتها وأحرقتها بالنار.40

كما يظهر أيضا مبدأ الحرب النفسية من خلال الأسلوب الذي استخدم في تصوير النقوش النافرة لمشاهد الحروب، ففي قصر الملك "أشور ناصر بال الثاني" في مدينة كالخ كانت مشاهد الحرب هي السائدة ولكن في القاعة التي كانت تستخدم كغرف اجتماع المستمعين فقط من الزوار والحكام والسفراء الأجانب وأما الغرف الأخرى فكانت مخصصة للموضوعات الدينية والاحتفالية.41

ويبدو أن هدف الملك كان واضحا،و هو التأثير وردع السفراء من خلال رؤية تلك المشاهد بعظمة أشور وقوتها العسكرية، وبالتالي فإن مبدأ الحرب النفسية قصد به تخفيف الحاجة إلى العمل الفعلي.

2- سياسة الدعاية

طبق الملوك الأشوريون أداة سياسية فعالة أخرى، ألا وهي الدعاية، ويظهر ذلك من خلال النقوش الملكية التي تصور بؤس وشقاء الشعوب الأجنبية مع تفوق القوة العسكرية الأشورية، حيث تظهر بأيديها ممدودة للعقاب، وهي تتوسل للجيش الأشوري.

كما يظهر مبدأ الدعاية من خلال تعذيب الأسرى، فقد كانوا يقومون بشق شفاههم، وقطع أوصالهم، وذلك لتبقى طعاما للحيوانات الضارية، والبعض منهم يؤخذوا إلى أشور، وذلك للعمل في مشاريع البناء، بالإضافة إلى العمل في الأراضي الزراعية الشاسعة.

وكمثال على ذلك ما حدث عندما تمرد سكان مدينة حماه على الملك سرجون الثاني، ، قضى هذا الملك على التمرد في معركة قرقر في عام 720 ق. م. ووردت هذه الحملة في حوليات الملك الأشوري كما يلي: " ياوبيدي من عامة مدينة حماه، حتى ملعون جعل نفسه ملكا على المدينة وحرض ضدي مدن أرواد وسميرا

ودمشق و السامرة، فتعاونوا وجهزوا جيشا مشتركا وأطبقت عليه في قرقرة مدينته الأخيرة، ففتحتها وأحرقتها، أما هو فقد أمسكت به وسلخت جلده، وقتلت المتمردين وأحللت النظام والسلام فيها".[42]

و يتبين لنا من خلال هذا لنص أن حاكم مدينة حماه كان المحرض الأساسي للتمرد على الدولة الأشورية و هذا ما أدى بالملك سرجون الثاني بمعاملته بقسوة بالغة حيث سلخ جلده و أحرق مدينته.

وذكر هذا الملك أيضا أنه بعد قهره لقوى مملكة أوراتو وحلفائها بعد حملته الرئيسية عام 714 قبل الميلاد ما يلي:" إن بقية الناس الذين فروا حفاظا على حياتهم ، فقد أطلقت سراحهم لكي يمجدوا النصر الذي أحرزه سيدي الإله أشور، وقد مات بعض هؤلاء التعساء المساكين في الجبال،و لكن ناضل الآخرون للرجوع إلى بيوتهم، حيث أن روايتهم المرعبة حول القوة التدميرية لأشور والجيش الأشوري أصابت المستمعين بالبكم."[43]

وهناك مثال آخر لتطبيق مبدأ الدعاية، حيث يذكر الملك الأشوري أشور بانيبال في إحدى رسائله أثناء عصيان بابل عام 652 قبل الميلاد، أن جده الملك سنحريب قد قدم وزنة من الفضة مكافأة على قتل زعيم متمرد وقد قال إنه نفسه كان سيعطي هذا المال ذهبا مكافأة لجلب أي زعيم متمرد ضده كان حيا أو ميتا.[44]

ويمكن تفسير غرض الملك الأشوري من وراء تقديم المكافأة المالية، بإعلان مصير كل حاكم متمرد على السلطة الأشورية.

3- سياسة التهجير إلى الأقاليم البعيدة

من الوسائل التي استخدمها الملوك الأشوريين ضد الأقوام المنهزمة عملية التهجير، وقد تمثلت هذه السياسة في نقل السكان من الدول التي كانت تشكل خطرا عليهم ، إلى بقعة نائية من الأملاك الأشورية، وقد ضم هذا التهجير مهرة العمال، بالإضافة إلى كبار رجال الدولة والمجتمع وبقية السكان وبالتالي فإن سياسة التهجير كانت تضم كل فئات المجتمع. كما كان الملوك الأشوريين يحرصون على تهجير السكان إلى أقاليم تختلف في الغالب عن عاداتهم وتقاليدهم وأيضا لغتهم.

وهذا ما أدى إلى إزالة حدود الدولة المغلوبة وأراضيها، ثم بعد ذلك تقوم بإعادة توزيع المنطقة التي صممت بحيث تصبح خارطتها فسيفساء ذات حدود مصطبغة، وكان يشرف على تلك الولايات إداريا موظفون أشوريون إشرافا مباشرا.

ومن كل هذا يتضح أن الهدف من هذه الخطوات الجذرية في تهجير سكان الأقاليم، هو اضمحلال الشعور المحلي القومي وتجزئة الجماعات المحتلة بلادها، ومحو ذكرى أيام الاستقلال من نفوس الشعوب السابقين .

و قد أخذت سياسة التهجير شكلا واسعا في عهد الملك الأشوري تجلات بلاسر الثالث الذي حكم فيما بين 744-727 ق. م ،وذلك لتثبت سيطرته على أطراف دولته، فقد قام هذا الملك بتهجير الشعوب من موطنهم الأصلي إلى بلاد أخرى بعيدة عنهم، و إحلال غيرهم من منطقة بعيدة محلهم،

كما قام تجلات بلاسر الثالث في عام آخر بتهجير عدد كبير من أهل بيت خومريا أي أراضي عمري في منطقة العبرانيين القديمة إلى أشور، وردت نصوص تفيد بأنه هجر بأمره أكثر من مائة ألف من أنصار المنافسين في بابل نفسها بعد أن أخضعها لحكمه المباشر عام 729 ق.م. 45

وقد صورت المنحوتات والنقوش الأشورية مشاهد تلك الشعوب التي تهجر إلى مواطن بعيدة، ولنا أن نتصور مبلغ الشقاء والعذاب اللذين كانت تقاسيها تلك الجموع البائسة، وهي تساق مسافات بعيدة مع شيوخها وأطفالها ومرضاها.

ومن بين الملوك الذين طبقوا سياسة التهجير الجماعي أيضا نذكر الملك "سرجون الثاني" الذي حكم فيما بين 721-705 ق.م،وتذكر النصوص العمليات المختلفة في هذا المجال. ففي بداية حكمه حاصر مدينة السامرة عاصمة دويلة إسرائيل إلى غاية سقوطها، وقام بتهجير الكثير من أهلها إلى أقاليم بعيدة وهو ما يعرف بالسبي، وقد بلغ عددهم سبعة وعشرون ألف ومائتين وتسعين يهوديا من سكان السامرة، فأسكن قسما منهم في بلاد أشور، وقام بإسكان شعوب أخرى في السامرة، والذين أتى بهم من بابل وحماه والمدن الأخرى، كما جعل مملكة إسرائيل مقاطعة أشورية مع إلحاقها أيضا إداريا. 46

ووقع بعد سنوات قليلة من حكم الملك" سرجون الثاني" اضطرابات في سورية وفلسطين حيث ساهم فيها معظم سكان الولايات المختلفة بما فيها دمشق والسامرة وقد تكررت العملية على درجة كبيرة، ثم شارك سكان غربي الجزيرة العربية في هذه الاضطرابات، وعندما نجح هذا الملك في القضاء على الاضطرابات قام بإحضار شعوب آخرين وأسكنهم في هذه الأقاليم ، وورد في نصوص هذا الملك ، أنه قام بنقل الأعراب الذين كانوا يعيشون في مناطق نائية من البادية، ولم يعرفوا حاكما رسميا أو موظفا ولم يدفعوا الجزية إلى أي ملك سابق إلى السامرة وأسكنهم فيها . 47

وفي نصوص أخرى لهذا الملك بعد إخضاعه لمدينة بابل وذلك في أواخر حكمه، ورد أيضا انه قام بتهجير أكثر من مائة ألف من الكلدانيين والآراميين المتواجدين ببابل، وذلك إلى الأقاليم الغربية من الإمبراطورية الأشورية.48

ومما سبق عرضه يمكننا القول بأن تطبيق الملوك الأشوريين لسياسة التهجير إلى الأقاليم البعيدة، قد أدى إلى تحطيم الروابط الاجتماعية والسياسية والدينية، وخلط شعوب الشرق الأدنى، وأيضا إحلال البؤس والشقاء في ربوعها، وبالتالي إضعاف وتدمير الدويلات التي كانت تشكل خطرا على الإمبراطورية الأشورية.

رابعا : نظام المواصلات و الاتصالات العسكرية الأشورية

1- العربات

إن سرعة الحركة عنصر فعال في الحروب الناجحة، إلا أن كثيرا من المناطق خارج منطقة وادي الرافدين كثيرة العقبات، وتعيق التقدم، كالجبال الوعرة، والأراضي الصخرية أو الصحراء الشاسعة، بينما هناك في السهول يجري نهر الفرات ودجلة وروافدهما المتعددة، وهي عقبات تؤخر تحركات الجيش، لذلك فكر الملوك الأشوريون وقادة الجيش في وسائل وسبل تقلل من صعوبة هذه العقبات.

ومن هذه الوسائل تفوق الأشوريون في صناعة العربات، وقد مكنت الجيش من التغلب على عامل الزمن في سرعة حركته، كما أعطت مرونة أكبر في الانتقال من منطقة إلى أخرى.

لقد استخدمت العربة منذ فترة مبكرة من التاريخ الأشوري إلا أن استخدامها كان على نطاق ضيق وقد زاد استخدامها في العصر الإمبراطوري إلى درجة أن أصبح لها دور رئيسي في المعارك العسكرية في المناطق السهلية المنبسطة والمكشوفة، وهي أكثر المناطق ملائمة لحركة العربات.

وقد كانت مهمة صنف العربات اختراق صفوف الأعداء وتشتيت قواته، وذلك تمهيدا لهجوم الأصناف الأخرى، وقد كانت هذه العربات تجرها خيول، و في البداية كانوا يمتطونها بدون سرج ولكنها صارت في عهد السلالة السرجونيةيستعملون السرج .49

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأشوريين تفوقوا في صناعة العربات، وذلك بسبب استخدام الحديد في صناعة محاور العجلات في العربات وإطاراتها، مما ساعد على زيادة سرعة دورانها، فضلا عن ذلك فإن دولاب العجلة أصبح أكبر حجما. وهذا ما مكن سير العربات سرعة اكبر، كما أنها أصبحت أكثر قدرة على اجتياز الأراضي الوعرة.50

ومن الأمثلة على استخدام صنف العربات، وذلك في حملة الملك أشور بانيبال ضد عيلام، عام 640 ق.م حيث قام الملك الأشوري بتدمير عاصمتهم سوسه تدميرا كليا، واستولى على كنوزها وعلى كل ما تملكه، وقد ظهر في النقوش سلاح المشاة والخيالة، وفرسان العربات يقطعون الرؤوس بالمقامع، ويطعنون الظهور بالحراب والسهام.51

2- القوارب

- القوارب الجلدية

استخدم الجيش الأشوري القوارب، وقد وردت تسمية القارب بالأشورية بصيغة كيبرو Kibarru، وهذا النوع من القوارب استخدم كواسطة للنقل النهري، ولاسيما في مجال الخدمات العسكرية، وقد مثل في نقوش أشورية كثيرة عبور هذا النوع من القوارب في الأنهار، وعندما تعيق الأنهار تحرك الجيش، فإن الجيش كان يستعمل قواربا، والتي كان يجلبها معه لهذا الغرض.52

وكان من أنواع القوارب المصنوعة من الجلود ما يشبه الطوافات تطفو فوق مياه النهر، وقد سميت الكليك Kelickوكان أول من استعمل هذا النوع من القوارب الملك الأشوري "تجلات بلاسر الأول" الذي حكم فيما بين 1115-1077 ق.م،وذلك في الحملة التي قام بها ضد القبائل الآرامية المتمردة في شمال سوريا عام 1111 ق.م ، إذ ذكر في حولياته أنه استخدم القرب المنفوخة عند عبور نهر الفرات، وملاحقة المتمردين.

وقد ورد ذلك في حولياته كما يلي: " ...عبرت نهر الفرات وراءهم على الأكلاك، وبواسطة القرب المنفوخة، وأخضعت ستا من مدنهم، عند سفوح جبل بشرى Bushra ، أحرقت هدمت ودمرت مدنهم..."

كما ورد ذكر هذه الطوافات في حوليات الملك الأشوري أشور ناصر بال الثاني، وقد كان البعض منها مصنوع من جلد ماعز، وذلك خلال حملة هذا الملك الأشوري على الإمارات الآرامية سنة 875 ق.م ،

وقد ورد ذلك كما يلي: "... في اليوم الثامن من شهر أيار، انطلقت من مدينة كالخ، وعبرت الفرات عند قمة فيضانه بمعابر من جلد الماعز وقدمت باتجاه كركميش في بلاد خاتي، أخذت طريقي إلى بيت بخياني، أخذت الجزية من سكانها...".53

وهنا يجدر بنا أن نذكر بأنه ورد استخدام القرب المنفوخة والمصنوعة من جلد الماعز أيضا في حوليات الملك "شلمنصر الثالث" و في حوليات الملك الأشوري "تجلات بلاسر الثالث "استخدام طوافات مصنوعة من جلد الماعز أي الكيليك، خلال حملته العسكرية لضرب الآراميين.54

- **القوارب الخشبية**

أشار المؤرخ الإغريقي هيرودوت إلى هذا النوع من القوارب، والذي كان إطاره يصنع من خشب الصفصاف، أما بطن القارب فكان يصنع من الجلود المجففة، وقد كانت هذه القوارب مستديرة الشكل

فقد ورد وصف هذه القوارب حسب هيرودوت كما يلي: " ولسوف أبسط تاليا أشد ما أدهشني في هذا البلد،(العراق) عنيت القوارب التي تمخر الفرات إلى المدينة، هذه القوارب مستديرة الشكل، ومادتها من الخشب، وتصنع في أرمينيا شمالا بلاد أشور، حيث يصنعون إطار القارب من خشب الصفصاف، ومن

أغصانه تصنع السلام، تم يشدون الجلود المجففة المانعة لتسرب الماء منها، لتكون بطن القارب، وليس لهذا القوارب مقدمة أو مؤخرة، وإنما هي مستديرة الشكل كالترس..." 55

3- السفن الحربية

عرف الجيش الأشوري باستخدام السفن الحربية أيضا، وقد كانت سفن الحرب تعرف باسم إلب كاربي " Elap-qarabi ،وقد كانت تلك السفن متأثرة كليا بالسفن الحرب الفينيقية.

ووجدت مشاهد فنية كثيرة في النقوش الأشورية تظهر فيها السفن، فقد ظهر في عهد الملك" شلمنصر الثالث "مشهد على صفائح بوابة برونزية حجم السفينة التي استخدمها الجيش الأشوري خلال الحملات العسكرية التي شنها هذا الملك على المدن الفينيقية.

وفي هذا السياق لا بدا أن نذكر بأنه وجدت مشاهد للسفن أيضا في النقوش الأشورية التي تعود إلى الملك سرجون الثاني حكم مابين 721-705 ق.م ، وذلك في قصره في دور شاروكين، إذ يظهر على هذه النماذج ملاحون ينقلون الخشب لسفنهم من الساحل الفينيقي.56

فقد ظهر في المشهد السابق ذكره، أن الجنود عملوا على ربط جذوع الأشجار ببعضها البعض، وكانت تسحب بعد ربطها على شكل مجاميع بواسطة السفن لتنقل بعد ذلك إلى الجهات المحددة.

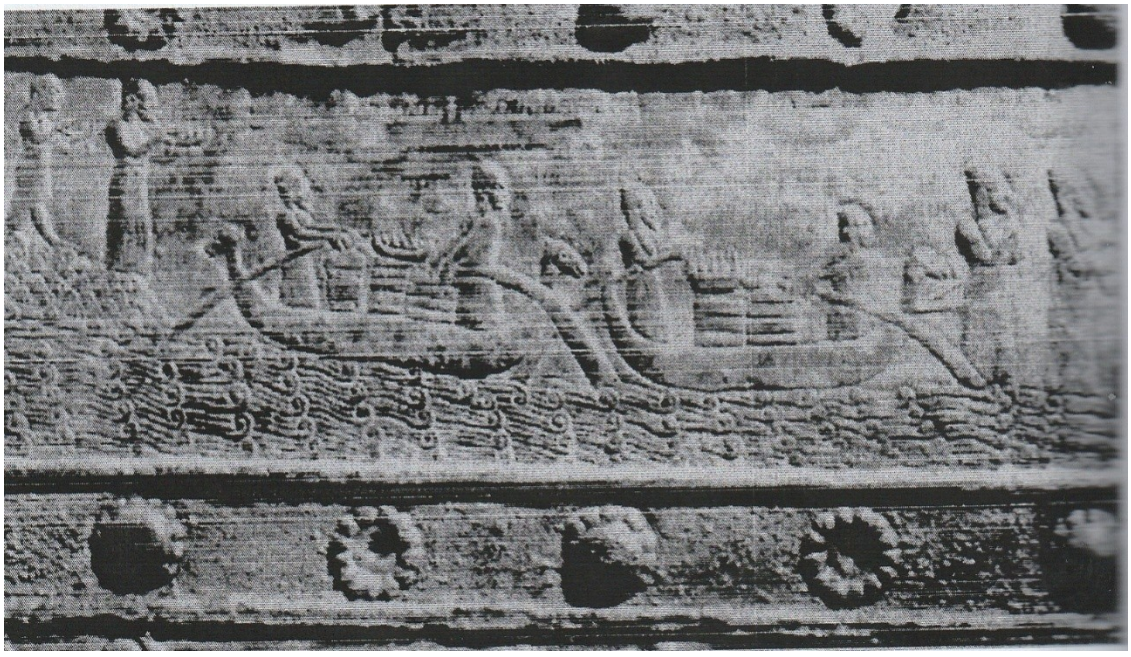

الصورة رقم 3:سفن حربية للملك الآشوري شلمنصر الثالث (858 - 824) ق.م أثناء حملته على مدينة صور الفينيقية .

والجدير بالذكر أن الملك الأشوري "سرجون الثاني" قام بعد سقوط السامرة في عام 721 ق.م بحملات عسكرية إلى الساحل الفينيقي حيث استطاع إرغام المدن الفينيقية وخاصة صور وصيدا وقبرص على دفع الجزية.

وكان النحات الأشوري على درجة كبيرة من الدقة في نقل الصورة الحقيقية لأشكال هذه السفن، إذ تتألف من مقدمة على شكل رأس حصان، وذلك للدلالة على الجمال والسرعة، أما جسم السفينة فإنه مشابه للقارب العادي، وأما مؤخرة السفينة، فهي على شكل ذيل سمكة ملتوي نحو الأعلى.57

وأما أول أسطول حربي تم إنشاؤه في عهد الملك" سنجريب" الذي حكم مابين 704-681 ق .م واشترك في بناء هذا الأسطول الحربي صناع من صيدا وصور وقبرص، وعملوا فيه عاما كاملا في" تل برسيب "على الفرات، وفي نينوى على دجلة، وقد كان هذا الأسطول هو أول أسطول حربي كبير في تاريخ الأشوريين.

وبفضل هذا الأسطول الحربي استطاع الملك سنحريب الانتصار عام 696 ق.م ، في حملته البرية و البحرية الضخمة التي قادها لتطهير الأجزاء الجنوبية من أنصار الثائر مردوخ بالادان الثاني 721-710 ق.م و التقى بعد ذلك الجيش البري بالأسطول البحري الذي سيره الملك من نينوى الى مدينة أوبس و بعد ذلك نقله الى الفرات ،و قد نجح الملك سنحريب كذلك في غزو المدن العلامية الساحلية.58

4- **النظام البريدي**

لقد أنشأ الملوك الأشوريون نظام بريدي يغطي أنحاء الإمبراطورية، ويأتي بالأخبار إلى الحكومة المركزية،حيث لم يكتف الملوك بأن فرضوا على الحكام و موظفيهم بإرسال تقارير دائمة حول أدق الأمور التي كانت تحصل في المقاطعات بل كانوا يرسلون بعض الموظفين المتنقلين لمراقبة أعمال الحكام لاسيما في المقاطعات البعيدة عن الحكومة الأشورية ،كما كانت التقارير ترسل إرسالا دائما بين حكام المقاطعات و السلطة المركزية .

و هذا ما أدى إلى الاهتمام بمحطات البريد في مختلف أنحاء المقاطعات و ذلك من حيث تنظيمها والعمل على إرسال البريد بشكل آمن و سريع و من أجل ذلك أسست أنظمة مواصلات منتظمة و مستمرة مابين مناطق الإمبراطورية الأشورية مهما كانت بعيدة و بين العاصمة آشور.

و نتيجة لذلك أنشئت شبكات من الطرق لتوصيل البريد ،وقد كان المشرف على حفر الطرق يعرف باسم رب – كالابي (Rab –kallabi) (وضعت محطات بريدية على طول الطريق مزودة بالمؤن و الأحصنة و

الحراس، وذلك للقيام بتبديل الأحصنة حتى تحافظ على نشاطها و سرعتها خلال التنقل عبر المسافات الطويلة ،و كثيرا ما كانت تستخدم البغال و الحمير في هذه الطرقات الوعرة لمقدرتها على تحمل المشاق.59

و من الجدير بالذكر أنه لم يكن أي جزء من الإمبراطورية عاجزا عن الاتصال بالعاصمة ،و كثيرا ما كانت تصل الرسائل خلال أسبوع تقريبا ،هذا ما يؤكد وجود طرق معبدة خارج العاصمة ،و كان ثمة طرق مرصوفة بالحجارة فضلا عن وجود اهتمام ملحوظ بالطرق الجبلية ، و كانت تحدد الطرق الرئيسية التي كان يطلق عليها الطريق الملكية أو الطريق العامة ، و قد كانت تكتب أسماء المناطق في نهاية كل طريق.

وبوجود هذا النوع من المواصلات الفعال والسريع فإن الملك كان دوما على علم بما يجري في الحملات العسكرية، وهذا خلال غيابه عنها، حيث كان الضباط في ميدان المعركة يرسلون التقارير إلى الملك و يعلمونه بالنشاطات التي كان الجيش يقوم بها ككل وحتى أخبار الوحدات العسكرية الأخرى.

كما كان الملك بدوره يرسل التعليمات إلى القادة العسكريين والتي تشمل في بعض الحالات تعليماته حول المفاوضات مع الدول الأجنبية في المنطقة، وقد أصبح هذا الاتصال الجيد بين العاصمة والجنود الذين هم فيما وراء الحدود الأشورية ممكنا وذلك بسبب وجود نظام المواصلات الفعال.60

وهناك مثال على استخدام الملك الأشوري "تجلات بلاسر الثالث " ضمن إصلاحاته في الجيش شبكة من الرسل، وذلك لضمان الاتصال السريع ونقل الرسائل بسرعة أكبر، أما في حالة الطوارئ فقد كانت تستخدم طريقة نظام الإشارات وأبراج المراقبة باستخدام النار، وكانت الحدود تحت حراسة مشددة من قبل سلسلة من الحصون والقوات الخاصة.61

5- نظام المخابرات العسكرية

اشتمل نظام المواصلات الأشوري على نظام مخابرات عسكرية، وكان الجواسيس ينتشرون في مدن الأعداء من أجل الحصول على معلومات دقيقة حول قوة كل عدو سواء من حيث العدة والعتاد وجاهزية جيشه،ومعرفة نقاط قوة وضعف الأعداء لاستغلالها لصالح الدولة الأشورية

و قد كان المخبرون الأشوريون من الأشخاص الموثوق فيهم إلى درجة كبيرة، ويتوجب فيهم صفة الأمانة والشجاعة، وكان مدربا على عدم تزوير الرسالة أثناء نقلها أي أنه يكون مخلصا.

وفي السياق ذاته وجدت شبكة من المخبرين، منشرين على الحدود الأوراتية و ذلك في عهد الملك الأشوري سرجون الثاني الذي حكم فيما بين 721-705 ق. م ،حيث اعلمه المخبرون بما يجري في العاصمة الأوراتية توشبا Tushpoi وقد كانت هذه الحملة في عام 714 قبل الميلاد، وقد عرفت لدى الباحثين بحملة سرجون الثامنة، حيث أحرز فيها انتصار باهرا على أوراتو.62

و في هذا السياق لا بد أن نذكر بأنه كان للملوك الأشوريين ضباط استخبارات خاصين بهم ،حيث كانوا يجمعون المعلومات الدقيقة عن تسيير الحكام لمقاطعتهم، وأسلوب تنفيذهم لتعليمات الملك الأشوري، كما كانوا يرصدون تحركات العدو، وقد كان هؤلاء المخبرين منتشرين في كامل أنحاء الإمبراطورية الأشورية.

فقد أشارت التقارير التي أرسلت إلى الملك الأشوري" سنحريب" أثناء حصار أورشليم، أن المخابرات العسكرية لم تكن مهتمة بتحركات عساكر العدو فحسب، بل بالقضية التي تؤثر على شعبها وذلك للتأثير فيهم بالحجج، ومحاولة إقناعهم بفتح البوابات والاستسلام، ومن هنا يتبين لنا أنه من مظاهر المخابرات العسكرية الأشورية أنها كانت تحتوي أشخاصا يتكلمون اللغة العبرية.63

خاتمة

يبدو أن إحاطة أشور بالأعداء من كل جانب قد أيقض فيها على مرّ العصور روح التحدي و إظهار العنف في المعاملة و القسوة و الرغبة في إشاعة الرهبة حولها ، وقد اتبع أباطرتها العنف الشديد و يشهد على دلك قول أحدهم "اضرب قبل أن تضرب، وهاجم قبل أن تهاجم، واجعل تنكيلك بأقرب خصومك عبرة يخشاها بقية أعدائك " ،في حين دهب آخر إلى جعل أشور مؤسسة عسكرية و جند الشعب كله بما فيهم العبيد ، مما خلق مجاعة نتيجة إهمال خدمة الأرض .

فقد سيطر الأشوريون على مساحات واسعة ومناطق مختلفة واخضعوا عناصر بشرية غير متجانسة حاولوا مزجها وعُومل الكثير منهم معاملة قاسية ، وهدا متسبب للكثير منهم استياء اتجاه الدولة الشوربة ،فرغم العظمة التي وصل إليها الأشوريون إلا أن اشعوب التي كانت تئن تحت النير الأشوري أخدت تتحالف مع الميديين و الكلدانيين لإضعاف الإمبراطورية والإنفصال عنها .

فكان من أسباب زوال الإمبراطورية الأشورية ، بالإضافة إلى الأسباب التي تؤدي دوما إلى زوال الإمبراطوريات و الدول، مثل شيخوخة النظام و ظهور قوى فتية مجاورة وغير دلك ، فان الإمبراطورية الأشورية كانت تحمل عوامل التهديم والزوال بداخلها ويتمثل دلك في الإفراط في استخدام القوة العسكرية والحرب النفسية لإظهار القوة العسكرية التدميرية من تنكيل وإعدام وتهجير.

الهوامش:

1- عامر سليمان: العراق في التاريخ القديم (موجز التاريخ الحضاري)، الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، 1993م، ص ص 96-97
2- ديلابورت، ت. محرم كمال: بلاد مابين النهرين.الحضارة البابلية و الأشورية، المرجع السابق، ص.263.

3- 3- دياكوف كوفاليف،ت. نسيم واكيم البازجي: الحضارات القديمة، ط.1، ج.1، دمشق: منشورات دار علاء الدين، 2000م، ص 184.

4- (V) de Mierop : Cuneiform texts and the writing of history, London :Routledge, 1999,p.99.

5- هاري ساغر،ت. خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو: عظمة آشور، ط 1 ، دمشق: دار علاء الدين للطباعة والنشر ،2003، ص ص 374-375.

6- J- (c), Marian. Feldman :Ancient near estern art in context, boston : brill leiden, 2007,p133.

7- هاري ساغر:ت. خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو: المرجع اليابق، ص 375.

8- طه باقر: ديانة البابليين والأشوريين، مجلة سومر، ج.2، المجلد 2، بغداد: مديرية الآثار العامة القديمة ،1946م،ص.184

9- عامر سليمان: المرجع السابق، ص 97..

10- (F) Malbran ; L'armee et l'organisation militaire de l'Assyrie sous les sargonides,d'apres les lettre trouvees a Ninive .p838 .www.persée.fr-06/01/2015 – 09 ;30

11- طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج 1، بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة 1986، ص 538.

12- فوزي رشيد وآخرون: الجيش والسلاح موسوعة حضارة العراق،ج.2، بغداد: المؤسسة العامة للآثار والتراث، 1985،ص 54

13- أندريه إيمار، جانيين أوبوايه، ت.فريد داغر، فؤاد أبو ريحان، المرجع السابق، ص،143.

14- دياكوف كوفاليف، ت. نسيم واكيم اليازجي: المرجع السابق، ص ص، 183-184.

15- (F) Malbran , op-cit,pp840-841

16- فوزي رشيد وآخرون: الجيش والسلاح، المرجع السابق، ص ص،58-60.

17-)w(Hallo, William Keltysimpson :Ancient near -east history,op-cit,p199.

18- (J(.Malcolm. Russell: sennacheribs place without rival at nineveh, Chicago .1991,p103.

19- فوزي رشيد ، المرجع السابق ،ص ص 57-58.

20- عامر سليمان :المرجع السابق ،ص 102.

21- هاري ساغز : المرجع السابق، ، ص ص، 359-360.

22- (W (Budge: a guide to the Babylonia and Assyrian antiquities, scont edition ,London : printed by ordre of the teustees , 1908, p14,p21.

23- (K(Grayson : Assyria:sennacherib and esarhaddon(704-669)B.C ,CAH,VllI ,part.2,cambridge university press,2008, ,p.135.

24- (K (Grayson :Assyria civilisation,CAHviiiNewyork,Cambridge university press 2008, ,p,198.

25- (M (Vieyra : Les Assyriens, France : édition de Seuil, 1952, p84.

26- فوزي رشيد وآخرون: الجيش والسلاح: المرجع السابق، ص،56..

27- فوزي رشيد ، نفسه ، ص 57.

28-)M (Vieyra : op-cit, ,p84.

29- (W(Budge :A guide to the Babylonian and Assyrian antiquities: op-cit,p.30.

30- (D) lukenbill:Ancient record of Assyria and Babilonia ,vi,Chicago,the university press,1926, ,p.223.

31- K(Grayson : Assyria : Tiglath-pileser III to sargon II(744-705) BC , CAH,viii, part2,,newyork university press 2008 ,pp,95-96.

32-(K),Grayson :ibid,p97.

33-(G) Roux : La MésopotamieParis :Seuil.1995. p, 360

34-(M) vieyra :les assyriens ,op-cit,p94.

35-((K) Grayson : Assyrian civilisation, CAH, op-cit,p,220

36-(G) Roux :op-cit,p.370.

37-(K) Grayson : Assyrian civilisation, op-cit, pp220-221.

38 - هاري ساغز،ت.خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو: عظمة آشور،المرجع السابق،ص 155، ص 385

32- 39- عبد العزيز صالح :المرجع السابق،ص

40-(D) lukenbill : op-cit,pp,146-147

41- هاري ساغز، ت.خالد أسعد عيسى، أحمد غسان سبانو: عظمة آشور،المرجع السابق، ص، 369.

42 -K) Grayson : Assyria : Tiglath-pileser III to sargon II(744-705), p96..

- 43 سامي سعيد الأحمد: لماذا سقطت الدولة الأشورية؟ مجلة سومر، ج (1و 2)، المجلد 27، بغداد: دار الحرية للطباعة، 1971م، ص 124.

44- (K) Grayson : Assyria : Tiglath-pileser III to sargon II(744-705 Bc),,op-cit,p83.

45-(K) Grayson ,Ibid,p 84.

46- محمود الأمين: تعليقات تاريخية على حملة سرجون الثامنة، مجلة سومر، ج.2، المجل د 5، بغداد: مديرية الآثار القديمة العامة، 1949، ص 218.

47- (G) Roux :LA Mésopotamie, op-cit , pp357-358.

48-(K) Grayson : Assyria : Tiglath-pileser III to sargon II(744-705 Bc), op-cit,p89.

49- عامر سليمان: الجيش و السلاح، المرجع السابق، ص ص، 99-100.

50- ياسر هاشم حسين علي الحمداني: وسائط النقل في العراق القديم، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الموصل، 2002، ص،64.

51- عبدالعزيزصالح: المرجعالسابق،ص 524.

52- ياسر هاشم علي الحمداني: المرجع السابق، ص 71.

a. lukenbill : ARAB , op-cit,p83,p164 (D)-53

54-(D) lukenbille :Ibid,pp 222-223,

55- Hérodote : Histoire, livre1, pra194, établis et traduit par PH Legrand, Paris : société d'édition, les belles lettres, 1946

56- ياسر هاشم حسين علي الحمداني: المرجع السابق ، ص،86-

57- ياسر هاشم حسين علي الحمداني: نفسه ،ص-87.

Grayzon:Assyria sennacherib and esarhaddon , op cit,pp,107108 (K)-58-

59-(F) Malbran ; L'armée et L'organisation militaire de L'assyrie sous les Sargonides, D'après les lettres trouvées à Ninive www.Persee.Fr-06/01/2015 – 09 ;30

60-- هاري ساغر ، المرجع السابق ،ص ،379.

61- (K) Grayson : Assyrian civilisation, CAH, op-cit,p,204.

62-(J.A).Brinkman : Babylonia in the shadow of Assyria (747-626) , CAH, VIII, part2, New York : Cambridge university press,2008, pp,93-95.

63-(K) Grayson : Assyrian civilisation, op-cit,p,221.